الباب الأول

الأديان والعقيدة

تمهيد:

قبل التعرض للأديان السماوية ومقام العقيدة فيها، آثرت التعرض لبعض الأديان القديمة التي لم يرسل بها نبي أو رسول، والتي لم يوصى بها من السماء؛ وذلك لكي نتبين الوضوح التام والنقاء الفطري الذي فطر عليه الإنسان من توحيد لله وعدم الشرك به، لولا أن دخلت بعد ذلك الأديان في طور الانحدار وما أحدثه الكهنة والقواد الروحانيون من بدع ورموز وطقوس حولت العبادة فيها إلى شرك وإشراك.

ومن أهم الديانات التي نتعرض لها:

١- الديانة البرهمية.
٢- الديانة البوذية.
٣- ديانة قدماء المصريين.
٤- الديانة الصينية الكنفوشيوسية.

٥- ديانة الكلدانيين.

٦- الديانة الفارسية.

٧- الديانة اليونانية.

٨- ديانة الرومان.

وبعد أن نوفي الغرض المقصود من تلك الديانات، نخرج منها إلى الديانات السماوية المشهورة؛ كالديانة اليهودية، والديانة المسيحية، والدين الإسلامي، وليس المقصود من التعرض لتلك الديانات إلا الحصول على ما يوصلنا إلى الغرض المقصود من هذا الكتاب.

الفصل الأول

الديانة البرهمية

الله :

جاء في أحد فصول الفيدا ذكر الإله واسمه (برهما سباتي) حسب ما هو مكتوب باللغة السنكسكريتية القديمة، ومعناه (رب الصلاة) مجيب الدعاء، المتصرف في ملكوته السماوي والأرضي إله الحق.

إذن، فالله عند قدماء البراهمة واحد لا شريك له، سرى منه الروح في جميع الكائنات من جماد، ونبات، وحيوان، وقد ورد ما يؤيد ذلك في أسفار الفيدا، وما ترجمته (أنا الله نور الشمس، ضوء القمر، بريق اللهب، وميض البرق، صوت الريح، أنا الأصل القديم لجميع الكائنات، مني الحياة لكل الوجود، معطي الصلاح، أول، آخر، حياة، موت، لكل مخلوق حي).

عقيدة البراهمة :

وتتلخص عقائد البراهمة في بنود تدل على وحدانية الله، وهذه هي البنود المهمة في الموضوع.

١ – اسم الإله الظاهري (برهما سباتى)، والاسم الخفي (زيوس).

٢- الإله هو الأصل الأزلي الذي يستمد منه كل شيء وجوده، لا تدركه الحواس وقد يدرك العقل بعض صفاته.

٣- إن الإنسان حركة متغيرة مستمدة، وروحه قبس من نور الله انفصل عنه إلى أجل ينتهي، ثم تعود إليه بعد انتهاء الأجل، وذلك كالبخار الذي يصعد إلى السماء ثم يعود إلى الأرض أمطارًا تجري في الأرض أنهارًا.

٤- غاية كل إنسان في الحياة الاتصال بالله والرجوع إليه.

كتب الديانة البرهمية:

وكل هذه العقائد مكتوبة في كتاب الفيدا المقدس الذي لم يعرف حتى الآن بدء كتابة أسفاره، وإنما المحقق أن هذه الأسفار أقدم من التوراة، وتتألف أسفار الفيدا من أربعة أسفار هي:

أ) الريجا فيدا.
ب) الساما فيدا.
ج) الباجورا فيدا.
د) الأبارا فيدا.

وكتب أخرى مفسرة تسمى (دماندرا ماسترا)؛ أي كتب الشريعة. وكل التعاليم الدينية في أسفار الفيدا على غاية من البساطة دون تعقيد، وتدعو جميعها إلى توحيد الله.

فلاسفة وكهنة الديانة البرهمية:

وأهم من تعرضوا لشرح أسفار الفيدا الفيلسوف الهندي (مانو)؛ الذي قال عن الإله أنه كائن بنفسه لا تصيبه الحواس المادية، بل يُعلم بالروح فقط. و(كلوكا) الكاهن والفيلسوف، وهو أشهر مفسري الفيدا القائل: (إن المشتركين في الأسرار مع تقديمهم القرابين لبعض قوى الطبيعة المتعددة، لم يكونوا معتقدين إلا برب واحد هو نبع كل عدل وحكمة، المدبر الكل، والمرتب لنظام الكون، ولا اسم له إلا المستحق العبادة برهما). ومن الفلاسفة المصلحين: كرشنا، وكان من تعاليمه: (أن الجسد زائل، إنما النفس الخفية عن النظر سرمدية).

تعاليم الديانة البرهمية:

أهم التعاليم في الأديان البرهمية القديمة تتلخص في الوصايا العشر للدين البرهمي وهي:

١- الكائن الإلهي.
٢- مقابلة الإساءة بالإحسان.
٣- القناعة.
٤- الاستقامة.
٥- الطهارة.
٦- كبح جماح النفس.
٧- معرفة الفيدا.

٨- اجتناب الغضب.

٩- الصبر.

١٠- الصدق.

وأما ذبح الحيوانات وتحريم ذبح بعضها وغير ذلك من الإضافات، فلم تظهر إلا بعد زمن بعيد حين وضعت الطقوس وتزايدت الرتب الكهنوتية، ففرضت على الشعب ذبح بعض الحيوانات وتقديس بعضها، أو تحريم أكل اللحوم بتاتًا.

انحدار الديانة البرهمية:

انحدرت الديانة الهندية عندما كثر الكهنة الذين جعلوا للديانة أسرارًا خفية، وأسرارًا ظاهرة؛ فكثرت الرموز والطقوس والشعائر، ومن هنا نشأ ما لم يكن أصلاً في الديانة البرهمية، فنشأ الثالوث الهندي المعروف وهو: (برهما- فشنو- سيفا).

فقد كانت العبادة في الديانة الهندية القديمة قاصرة على أناشيد (الريجا فيدا)؛ وهي أقدم أسفار الفيدا، وكان الهنود لا يعرفون إلا إلهًا واحدًا تحت إرشاد العباد والحكماء المخلصين، ثم ظهر الكهنة على مسرح الحياة فابتدعوا من الأسماء والمسميات ما لم يكن له أصل في كتب الفيدا، بل تعدوا وغيروا بعض معاني الفيدا؛ ولنضرب مثلاً على ذلك أن كلمة (ورترا) المستعملة في كتب الفيدا المقدسة، وكانت ترمز إلى الروح الموكلة

بالرياح الثائرة الهوجاء، فقد أطلقوها وأحلوا محلها كلمة (سيفا) التي وردت في الثالوث الهندي.

ومن هنا يمكن أن يكون اليقين أن الثالوث الهندي بدعة من مبتدعات الكهنة، وأصبح بدل الإله الواحد آلهة ثلاثة، وأصبح الثالوث (برهما، فشنو، سيفا) على اعتبار أن فشنو وسيفا إلهان وقوتان نشأتا عن برهما، وقد فسروا الثالوث الهندي أن برهما هو الإله الخالق، وفيشنو هو القوة الحافظة، أو الإله الحامي للخليقة، وسيفا القوة التي تغني، وتعيد، وتحول.

التعبد الحالي عند البراهمة:

اتسع نفوذ الكهنة فأنشأوا الامتيازات والاختصاصات، ووضعوا نظام الطبقات التي نشير إليها دون تناولها بالشرح؛ والطبقات عند الهنود أربع، تقل الواحدة عن الأخرى في المنزلة حسب الترتيب، فجعلوا أرقى الطبقات احترامًا وتجلة، ومنحها الامتيازات التي لا يحق لغيرها المشاركة في تلك الامتيازات طبقة البرهماتمان: وهم الكهنة والعلماء، ثم يليها في المنزلة طبقة الخاترباس: وهم رجال الحرب وحماة الأوطان، ثم تلي بعد ذلك طبقة البانيان: وهم الزراع، والتجار. ودنيا الطبقات هي طبقة السودراسك: وهم أرباب الحرف والمهن الدنيئة، وهم المنبوذون.

وقد قصر الكهنة على أنفسهم وعلى المشتركين في الأسرار (تلاميذهم) معرفة الحقائق العلوية وتوحيد الله وستروا الحقائق عن الشعب،

مما جعل الناس تلجأ إلى الشرك وتعدد الآلهة، مما أوجد في نفوسهم اليأس من الخلاص في حياتهم الحاضرة أو المستقبلة، حيث تعلم الهندي أن خلود الروح غير مُدرك إلا أن تصل إلى درجة النقاء؛ ولذا يكلف البرهمي نفسه أنواع الشدائد والجهد في العبادة في حياته بما فوق طاقته؛ لكي يكفر عما وقع منه من معاصي، أو عما سيقع منه من ذنوب مقبلة، وهو دائم الكآبة والخوف، كثير الهموم، لا أمل له حتى في الموت؛ لأن الموت نفسه في نظره ليس مخلصًا من الحياة المقبلة.